يوميات مدرس غاضب

« تقديم »

مطلوبٌ مني .. ان أسكتْ
أن أغدو .. لوحة اعلانِ
ورقا مصقولا .. للرسمِ
بضعة ألوان .. جاهزةٍ
تعنو لاصابع فنانِ ..!
طينا .. قد يبدو تمثالا
أو يمضي .. طي الكتمانِ ..!
مطلوب مني .. أن أحيا
مشروع وجود .. للغير
أن يغدو العالم في رأسي
رقما ثلجيا .. أحفظه
في ثلاجات التكرار ..!
ممنوع .. أن أسمع قلبي
أن تهمس نفسي .. في نفسي

***

يصرخ اطفالي في المنزلْ ..!
يصرخ طلابي في الفصلِ ..!
في الشارع .. في المقهى
في كل مكان من حولي
حتى .. جدران عمارتنا
تصرخ في وجه السكانِ ..!
! ..... !
لكني وحدي ممنوع ...
وحدي .. ممنوع أن أصرخ
هأنذا .. أعلن عن نفسي
أتعرى .. اثناء الدرس ..!
وأمارس حقي
في يومياتي
أصرخ ... لا أهمسْ
مسئول أنا عن أجيالٍ
غرقت في بحر « حزيران » ..!
عن نكسةِ « يونيو » يسألني
طلابـي
فدعوني .. اني متهمْ
أحكي .. مأساة الانسانِ ..!

***

لكني في يومياتي
لن أغدو .. لوحة اعلانِ
سأمارس في نفسي حقا
أغرب من غزو الاقمار ...!

***

سأمارس حقي في الصدقِ
وأعرّي نفسي في الفصلِ ..!

ـ ١ ـ

« تفسير عصري لاشعار عنترة »

أن يصبح الفنان صادقا
في عالم تغتالهْ
حرب الشعارات العقيمة المدمرة
فذاك يعني : الرفض والمغامرةْ
فذاك يعني : زورقا مشاغبا
يريد أن يصير الموج خادما في رحلة
الحقيقةْ
لا أن يصير كل شيء .. طائعاموجها
في خدمة التيار .. والامواجِ
آمنا طريقهْ ..!

***

حدثتكم بالامس ..
عن أشعار عنترةْ
صمتا .. أيا طلابْ .. ماذا قلتْ ؟
قلت : ان عنترةْ
لما رأى صمت العبيد يقتل العبيدْ
وأن أغلال العبيد .. لم تجيءْ
من خارج الحدود ... !!!
ألقى .. بلا .. في وجه سيدهْ
وصاحَ :
لن أخوض الحرب
والاغلال في يدي ..!
فليس أعدائي هناكَ
أقسى من بني عبسٍ هنا ..!
هناك .. أو هنا
مضمون قيدٍ واحدٍ
تعددتْ أشكالهُ .. والموت واحد
وأعان المواجهةْ ...

***

وحار جلادوهُ في حكايتهْ
وحكّ شيخهم قفاهُ ...!
ثمّ صاح باسما :
يا عنترة .. يا فارس الفرسانِ
يا فخر الحمى
اليوم صرت سيدا
اليوم .. كرّ .. وأنت حرّ
ماذا هناك .. أيها الطلاّبُ
هل فهمتمْ ؟
ـ أستاذنا
ألا ترى الجنس المثيـر فـي
« أفلامنا » ؟
ـ أما سمعت أجمل الالحان « هذي
ليلتي » ؟
ـ يا أيها المجنون .. لا تسمع مدرسا
يقول ما لا يفعلْ ..!
واسحبْ جريدة « الاستاذِ »
واقرأ صفحة « الكرةْ » ..

***

نسيتُ أن أقول ..
يا طلاب عصرنا المبجّل
لما تركتُ الفصل عائدا لمنزلي
رأيتُ عنترةْ
مُعلّقًا في الشارعِ
يضاء بالنيون في المساء ..!
وقبل اعلانٍ هناك عن «رابسّو (١)»
تذاعُ صُورتُه
مقرونةٍ بأغنيةْ
تقول : يا بطلْ
يا صانع التاريخ من عدم ..!
يا قاهر الزمنْ
وتنتهي برقصةٍ شعبية .. وهادفةْ

***

لأن من قالوا : نعمْ .. في عصرنا
قد أمسكوا بعنترة
وألبسوهُ الوشىَ والديباج والقلائدا
وعلقوهُ فوق جدران البيوت والمدارس
وألفوا في كلّ يوم أغنيةْ
وقرروه في « النصوص » هذا العام
وصار أغنيةْ
تُدغدغُ الغرائزا
يلهو بها المراهق المُدلل
وجاء ناقد معاصر ..
وفسر الرفض القديمَ
عند عنترةْ
وقال : ان عنترةْ
ما كان يعني :
حين قال : « لا »
الاّ « نعمْ » !

ـ ٢ ـ

« جنة .. للمحرومين من الصراخ »

أحبتي ...
بالرغم مما تفعلون بي
أحبتي
ضحيتي انتمْ .. أنا جلادكمْ
لا تعشقون الفصلَ
الا عند غيبتي ...!
لانكم لا تعرفون أنكمْ
ضحية الضحيةِ
وأن جلاد العصا في الفصلِ
مثلكمْ .. يعيش عمرهْ
يفلسف الركوع والسجودْ
يبرّر انحناءهُ
يقنن القيودْ ..!
لكلّ شيء عنده « قواعدُ »
ولا يشد الطفل لحظة الميلادِ
من بطن الرحمْ
الا اذا ألقى لايدي القابلةْ
بنسخة من « القواعدِ » ..!

***

لـــم تشهدوا اغترابي حين يزحف المساءْ
وعودتي للبيت خاوي الوفاضِ
حامـلا
بقية من جثتي
وما ترون من حقيبة ..
كئيبة جرداءْ ..
لم تشهدوا انكسارا خائرا
في وجه أطفالي وزوجتي ..
وهم يرون عالم التزييفِ
متخما .. وراقصا
ويبحثون في حقيبتي
عن كسوة الاعياد .. والشتاءْ
فلا يرون الا قصةً
حزينة خرساءْ ..!

***

أحكي لكم .. حكايتي هذا الصباح
فلم أعد الدرس
ماذا لو تركتم حصة « النصوصْ »
لتدرسوا أعماق انسانٍ حزينٍ
قد يكون مثلكمْ
لكنه في كل يوم يرتدي القناعَ
حتى تروه مدرّسا ؟؟
ضايقني بالامس ان تصرخوا
وقلت : صمتا .. أيها الطلابْ
فالصياح ثورة مدمرة ..!
والصمت فـــي بعض العصور مـن خشبْ
لكنه في عصرنا الثوري هذا
من ذهبْ ..

***

أحكي لكم حلما رأيتهُ
لما أويت للفراش متعبا
رأيت اني في السموات العلى
وحولي المروجُ والحدائقْ
وأذرع كثيرةْ ..
تشير من حولي .. مرحبةْ
وخضرة الاشجار من حولي
تغني .. صارخةْ ..!
والموج في الانهار يسري بي
معانقا .. مرحبا .. وصارخا ..:
تقول لي الاطيار والاشجار والانهارْ
غدوت منذ الآن في جنةٍ
عذراء .. لم يحلم بها شاعرْ
ومتعة الناس بها .. أنهمْ
يمارسون لذة الصراخِ
حين ينبغي الصراخْ ..!
ليغسلوا وجودهم من رؤيةٍ سوداء
يمارسون الصمت عندما
تخضرّ فيه رؤية للوجودْ ..!

***

ـ أستاذنا .. دق الجرسْ
ـ وفجأة .. صحوت من حلمي
ـ وعدت للصياحِ والمشاغبةْ ..
فلتصرخوا .. ما شئتمْ .. !!!
لعلكم مثلي .. ترون ما أرى

***

« تنبيه » :
حذار أن تقولوا :
لم أعد الدرسَ
للمفتّش
حذار .. ان تصيروا أعينا
للناظر ...!
فمنذ ان صرنا عيون الآخرين
صرنا .. بلا ضوءٍ
وصرنـا ..
رغم أنا نفتح العيون .. جيدا
بـلا عيونْ ..!

سعد دعبيس

---

١ ـ مسحوق للغسيل